فصلنامه علمی- تخصصی معارف علوم اسلامی و علوم انسانی

سال ۴ – بهار ۱۴۰۳ – شماره شانزدهم-ص۳۴۷-۳۵۸

قراءة نظرية «دفعة واحدة» لميرداماد بالنظر إلى نظرية الحدوث الزمنى لملاصدرا

سیّده سکینه احمدی[۱]

زهرا سادات جادران[۲]

الملخص

يعتقد "ميرداماد" أنّ وجود كائنات الكون ناتج من علة العلل والدفعة الواحدة، معتبرا أن تخلق علة العلل الكائنات ذلک بشكل دفعة واحدة يهدف المقال إلى تبيين كيفية إيجاد الحياة وإمكانية خلق الكائنات بشكل دفعى أو تدريجى وذلک فى ضوء نظرية "ميرداماد" اعتماداً على أصالة الماهية والحدوث الدهرى، كما يسعى إلى معالجة أمهات المصادر حول نظرية "الدفعة الواحدة" منتهجاً المنهج الوصفى- التحليلى.

وتوصل المقال فى ضوء نظرية الدفعة الواحدة إلى أنّ نظام الحكمة المتعالية بناء على الحدوث الزمنى يتحول تمهيداً للحدوث الجوهرى، ما تعنى نظرية الكون وعالم الوجود فى الحكمة المتعالية أنّ كل كائن طبيعى بالذات ويحمل جميع الشؤون فى الذات بحيث إنّ جوهر ذاته حادث فى كل لحظة ذلک بما أنّ عالم الطبيعة هو كائنات الطبيعة وأمورها وشؤونها وهو حادث زمنى فى كل لحظة.

الكلمات المفتاحية: الدفعة الواحدة، العوالم الثلاثة، الحدوث الزمنى، الميرداماد، الملاصدرا.

۱. کارشناسی ارشد، رشته فلسفه و کلام اسلامی، دانشگاه پیام نور، شهر اندیشمک، استان خوزستان، ایران، نویسنده مسؤول، ahmadi.skn30@Gmail.com

۲. سطح سه (کارشناسی ارشد)، رشته فقه و اصول، از مرکز مدیریت حوزه علمیه قم، استاد راهنما و مدرّس دروس حوزوی در مدرسه علمیه خواهران الزهراء (س)، شوش دانیال، استان خوزستان، ایران، پژوهشگر و فعّال فرهنگی. Kariminiya2003@yahoo.com

المقدمة

يرى الميرداماد أن لكل كائن عالما كما يعدّ لتكوين الكائنات ثلاثة عوالم، هى عبارة عن حادث الزمان وحادث المادة والحادث الدهرى إضافةً إلى عالم المجردات والعالم الأزلى السرمدى وعالم الخالق بحيث إنّ هناک وجود طولى وعرضى كما يرى الميرداماد أنّ واجب الوجود يعلو ويفوق الوجود وعبارة عن خالق الكائنات أجمع وفى مقدمة الوجود فى حين تلى الكائنات الخالق وتحتل المرتبة الثانية من حيث القوة والسلطة بالنسبة عن سائر المخلوقات فيما تعتبر كائنات مادية تقع فى حادث الزمن وأمّا الحادث السرمدى الأزلى فلا توجد فيه كائنات عالم الوجود. فبما أنّ العدم فى قوانينه خاضع وتابع للوجود فعدم الكائنات فى العالم السرمدى عبارة عن الحادث السرمدى كما أنّ الكائنات المادية لا تعتبر كائنة فى العالم الدهرى وهى تسبق العدم الدهرى بحيث إنّ الكائنات فى العالم الدهرى خلقت دفعة واحدة ولهذا إنّ نظرية الدفعة الواحدة لميرداماد تساعد على فهم الحدوث وقدم الكون كما تيسر فهم خلق العالم فيما أنّ المقال يسعى إلى الإجابة عن: ١. كيف خلق الكون بشكل تدريجى أو بشكل الدفعة الواحدة؟ منتهجاً المنهج التاريخى انطلاقاً من المنهج الوصفى- التحليلى، بالإضافة إلى تناول الآراء المتعلقة بالعلة وأصالة الكائن البارزة، معتمداً على آراء الميرداماد، كما يعالجها إضافةً إلى التطرق إلى آراء الملاصدرا خاصة نظرية الحدوث وقدم الكون والتأثر بنظرية الدفعة الواحدة.

خلفية البحث

ما عثر البحث على دراسة مشابهة لمقالنا تتناول نظرية الدفعة الواحدة إلا ما تطرق الميرداماد بالإضافة إلى نظريته الحدوث الدهرى.

١. النشؤ من العدم

جاء فى كلام الإمام على بن أبى طالب عليه السلام أنّ وحدانية الله سرمدية قبل بداية الدهور مفسراً أبو جعفر الكلينى هذه المقولة أنّ الله لم يخلق الكائنات من كائن ما كما أستند الميرداماد لهذه المقولة قائلا إنّ الله واحد ولم يخلق الكائنات من كائن ما، رافضاً مقولة خلق الكائن من كائن ما وكونه إلا من أصالة وماهية بحيث يستنتج أنّ صورة النظام ملائمة للتنظير وخلق الكائن فى حين إنّ الأصح أن يقال إنّ الله لم يخلق الكائنات من العدم.

٢. العوالم الوجودية الثلاثة

ينتزع الميرداماد نزعة فريدة وخاصة نحو عوالم الوجود، معتقداً بثلاثة عوالم هی عبارة عن عالم الزمان والعالم الدهری والعالم السرمدی حيث "قد يكون عالم الوجود دهرا أو سرمدا" (الميرداماد، ۱۳۸۱: ۳۴۴)

۲-۱. عالم الزمان

يعتبر الزمان عالم الكائنات مستمرا وذلک بعد العدم، ويعنی هذا النسبة المتغيرة والمتحولة للأشياء المرتبطة بالزمان والتی عرضة للتغيير والتحول، ويحق الحركة للكائنات فی عالم الزمان بالإضافة إلى تقدير نسبة من الكمية والمقدار لوجود كل منها كما يصور العدم السابق وجودها من حيث الحركة والامتداد مقارنةً مع الزمان السابق. (الميرداماد، ۱۳۶۷: ۷)

۲-۲. العالم الدهری

ينضوی الدهر تحت الزمن اللامتناهی ذلک أزلی وأبدی، ما يعنی أنّ نسبة العالم الدهری عبارة عن النسبة الثابتة والمتغير والعقل والمجردات حيث لم يحدث الوجود للكائنات فی هذه المرتبة، وتسبق الماديات العدمُ الدهری كما تخلق الكائنات فی العالم الدهری بشكل مرة واحدة، وتدل هذه القضية أنّ الخالق تعالى يخلق جميع الموجودات فی العالم الدهری بشكل الدفعة الواحدة، ويقول الميرداماد فی هذا الشأن إنّ "الحادث الدهری يفيض بتمامه عن العلة مرةً واحدةً لكن لا فی الزمان ولا فی وقت بعينه وهو يشارک الحادث الذاتی ويباينه من حيث إنّ وجوده مسبوق بعدمه من الخارج ويحدث بتمامه عن العلة مرة واحدة، ويقع فی الدهر الذی لا يمتد ولا يقابل" (الميرداماد، ۱۳۸۱، ۱۸۸) كما أن الكائن ثابت وغير ثابت وإذا أحدثه الثبوت فلا يعتبر فی الزمان بل يساير الزمان نسبةً وماهيةً ولو أحدثته النسبة فلا يعتبر فی الزمان بل سارٍ إلى الزمان فی حين إن كان مع الزمان فيمكن إطلاق الدهری عليه كما جاء تعريف الدهر فی القبسات أنّه وجود الشیء المتواجد ذلک باستمرار الزمان (الميرداماد، ۱۳۹۴: ۲۴۹) ولكی نستدل إلى صحة وسقم التعريف نشير إلى مقولة من أرسطو قائلا إنّ "الله أحدث ماهية الكائنات وصورها أجمع وبالحق وكان خلقه مرة واحدة" بالإضافة إلى مقولة الميمر الخامس معتقداً "أنّ العالم مركب من كائنات تخلق بعضها البعض فالعالم كائن واحد لا يختلف" (الميرداماد، ۱۳۹۴: ۲۷۹)

۲-۳. العالم السرمدی

يری الميرداماد أنّ الزمن محيط بالعالم الدهری والعالم السرمدی هو عالم وجود الواجب تعالى ونسبته الثابتة حادثة بالثابت كما لا يمكن وجود الإمكان فی العالم السرمدی (الميرداماد، ۱۳۹۴: ۲۲۹) ولهذا يعتقد الميرداماد أنّ لكائنات

عالم الوجود ثلاثة عوالم أو ثلاث مراتب تتضافر معاً ولها العلاقة الطولية وتتواجد وتحاط بعضها البعض كما أنّ الكائنات فى العالم السرمدى والدهرى وعالم الزمن مسبوقة بالعدم الحقيقى مقارنةً مع الرتبة العليا، ما يعنى أنّ الكائنات فى الزمان مسبوقة بالعدم الحقيقى السرمدى بحيث إنّ الميرداماد استخدم لهذه النظرية مصطلحات بالإضافة إلى آراء الحكماء القدامى من قبيل ابن سينا الذى افترض ثلاثة عوالم للصورة والعقل والوجود قائلاً إنّ "للعقل ثلاثة عوالم أحده الزمان الدال على (متى) لتغيير الكائنات بحسب ما يكون لها مبدأ غير منتهى ونهاية بل يكون عبارة عن مقتضٍ، يسير دوماً فى السيلان وفى قضاء وزمن الحال والتجدد وأمّا العالم الثانى فهو عبارة عن العالم الدهرى، محيط بالزمان دالاً على الفلک ومع الزمان ذلک أنّه ينشأ من حركة الفلک بحسب النسبة الثابتة نحو المتغير فى حين لا يمكن أدراک الوهم لأجل مشاهدة كل الكائنات فى الزمان ودخولها فى الوجود وانضوائها فى الماضى والحاضر والمستقبل فيما يرى ابن سينا لكل كائن تحيطه (متى) ماضياً وحاضراً ومستقبلاً وجود الثابت مع الثابت الدال على العالم السرمدى المحيط بالدهر" (ابن سينا (ب)، ۱۴۰۴: ۱۴۲-۱۴۱)

ولهذا لو خضعنا للعوالم الثلاثة المذكورة أعلاه فيتحقق خلق الكائن المفترض فى عالم الزمان والعالم الدهرى والعالم السرمدى حيث نحظى بالحادث الزمنى والدهرى والسرمدى باعتبار ثلاثة حوادث، فى حين حظى الملاصدرا بنظرية التقدم والتأخر القائلة بتقدم الله حق تعالى الدالة على التقدم السرمدى للميرداماد، وفى هذا الشأن نسعى الإجابة عن: أ كان خلق عالم الوجود تدريجياً أو دفعياً؟.

۳. نظرية الحدوث الدهرى للميرداماد تعريفاً ونقداً

تطرق كتاب نهاية الحكمة إلى تعريف الحدوث الدهرى أنّه السبق الموجود لماهية الكائن نظراً لعدمه تقريراً فى علة وجوده، ذلک أنّ عدم الماهية تنتزع من علته ناهيک أنّ للعلة كمالا فى وجود الماهية بناءً على التعالى والأفضلية (شيروانى، ۱۳۹۹: ۳۵۷)

هذا وتسعى نظرية الحدوث الدهرى إلى إثبات قدم العالم وحدثه عبر الزمان كما تحاول الإجابة عن إمكانية التفكک بين الكون الأزلى ووجود العالم بحيث تناول الميرداماد النظرية فى مقابل نظرية المتكلمين الذين يعتقدون بقدم الله الزمنى كما يرون أنّ الله قديم زمناً وما سواه عبارة عن حادث زمنى، ويعنى هذا أنّ العالم منفصل عن الحق تعالى بحيث إنّ تقدم العدم بالنسبة عن وجود العالم هو تقدم زمنى وفقاً لرؤية المتكلمين فى حين يظنون أنّ الله خلق زمناً قبل خلق هذا العالم ولهذا خلق العالم بتقديره ومشيئته.

ولكن الميرداماد يخالف المتكلمين ذلک بسبب عدم حصول التقابل المنطقى بالنسبة عن الحدوث الزمنى وبين الوجود اللاحق والعدم السابق وذلک بسبب تضافر الزمان فيما لا يوجد إثبات على سبق العالم بزمن وهمى ويمكننا أن نعتبر العالم حادث دهرى ووجوده مسبوق بعدمه الحقيقى كما أنّ العدم موجود فى العالم الدهرى.

ويعقّب الحاج ملا هادى السبزوارى لإيضاح نظرية الميرداماد أعلاه وفقاً لثلاثة تعقيبات معتقداً أنّ ۱. هناک عالم لوجود أى كائن كما أنّ الزمان عبارة عن عالم الكائنات المادية والدهر عبارة عن عالم المجردات والسرمد عبارة عن عالم وجود الحق تعالى. ۲. هناک سلسلتان للوجود؛ السلسلة الطولية والسلسلة العرضية. ۳. إنّ العدم فى قوانينه خاضع وتابع للوجود (مطهرى، ۱۳۹۳: ۳۸۰)

ونلاحظ بناءً على التعقيب الثالث أنّ العدم خاضع للوجود الزمنى والعدم الزمنى والوجود الدهرى والعدم الدهرى، ويعنى هذا أنّ الوجود الزمنى يصور العدم الزمنى، والوجود الدهرى يصور العدم الدهرى كما أنّ القصد من وجود الزمن هنا هو الكائن الطبيعى المتعلق بالطبيعة ذلک أنّه مرتبط ومتعلق بالطبيعة واقعاً فى الحركة والزمن.

هذا وإنّ الوجود الطبيعى متصور للعدم الطبيعى فى حال إذا افترضنا عدم الكائن فى الزمن السابق واعتبرنا أنّ الكائنات عبارة عن الزمن السابق بالنسبة عن عدم نفس الكائن افتراضياً، بما أنّه زمنى ومنشىء لانتزاع العدم الزمنى. وكما أنّ وجود الكائنات الملكوتية والدهرية ملكوتى ودهرى فإنّها لم تتسم بالتصور للعدم الزمنى بل تصور العدم الدهرى.

وجاء سابقاً فى التعقيب الثانى أنّ للوجود سلسلة زمنية وعرضية وطولية بحيث يرسم للكائن عدمين: ۱. إذا اعتبرنا الكائن موجوداً فى سلسلة الزمن ومنعدماً ما يعنى وجود سلسلة الزمن قبله وتصوره للعدم الزمنى قبله. ۲. إذا اعتبرنا وجود الكائن موجوداً فى سلسلة الدهر الواقعة فى القضية الطولية للكائن.

فكما أنّ الكائنات الزمنية متصورة للعدم الزمنى لأجل الكائن أنّ انتزاع العدم الزمنى للكائن متصور للكائنات بحيث إنّ الكائنات الدهرية متصورة للعدم الدهرى للكائن (مطهرى، ۱۳۹۳: ۳۸۷)

وبناءً على التعقيبات الثلاث نلاحظ أنّ لسلسلة الوجود علةً تفوق المرتبة الدونية، ولا يساوى المعلولُ مكانة العلة بحيث إنّ تأخّر المعلول موجود بسبب علة التأخّر الحقيقى ولا تضاهى مكانةُ عالم المادة مكانة العالم الدهرى ما تنحدر إلى مستوى دونه، كما أنّ للعالم الدهرى قوانين خاصة وتفتقر إلى نقصان عالم المادة فيما أنّ عدم عالم المادة

بالنسبة للدهر هو عبارة عن عدم حقيقى، ولهذا يسبق ظهور عالم المادة العالم الدهرى مقارنةً مع العدم الحقيقى، والسبق الموجود هذا ينضوى تحت العالم الدهرى بالنسبة عن العدم وهو عبارة عن نفس الحدوث الدهرى.

ونسرد مقولة الميرداماد بهذا الشأن والتى جاء بها حول قضية تكوين العالم بالإضافة إلى الحدوث الدهرى "أنّه يجوز حصول جميع أجزاء الإنسان الكبير بما أنّه يمثل العالم الأكبر وهذه القضية ثابتة ومستقرة ومتغيرة ومتجددة تدريجيا بحيث إنّ القضايا الدفعية والزمنية الحاصلة فى الزمن بشكل غير دفعى وغير تدريجى بالنسبة عن الماضى والمستقبل مخلوقة عن طريق خلق الله بحيث لا يحدث لها النشؤ والخلق تدريجيا بل حادثة وكائنة بالزمن مثلما يحدث للحركات سواء القطعية والدفعية الحاصلة فى حدود تام زمنية، والتى لا ينطبق عليها الحدوث الحالى ولا ينطبق عليها الامتداد الزمنى، كما لا تنطبق الحركة التوسطية على الخلق المذكور بل يتصور له شكل آخر من الخلق بعيدةً عن التصور والخيال والتفكير (الميرداماد، ۱۳۹۴: ۲۸۱)

۴. الدفعة الواحدة

تنسب النظرية هذه إلى إبراهيم بن سيار المعتزلى منظراً أنّ الله تعالى خلق الكائنات دفعة واحدة كما خلق بعضها فى البعض وأودع وأكمن بعض الكائنات فى بعض حيث خلقت وظهرت تدريجياً عبر الزمن بعيدةً عن تحديد الزمن للكائنات من قبل الله تعالى.

يمكننا تدارک نظرية الشهرستانى وذلک من خلال نظرية الحدوث الدهرى للميرداماد حيث استوعب الميرداماد النظرية ذاكراً رؤية الشهرستانى وأحالها إلى نظرية الحدوث الدهرى فلسفياً قائلاً فى القبسات رأى إبراهيم بن سيار المعتزلى إنّ الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هى عليها معادن ونباتا وحيوانا وإنسانا حيث لم يقدم خلق آدم على خلق أولاده غير أنّ الله تعالى أكمن بعضها فى بعض، وإنّما يقع فى ظهورها من مكانتها للتقدم والتأخر دون حدوثها ووجودها، فأخذ إبراهيم بن سيار هذه المقولة من فلاسفة نظرية الكمون والظهور.

يعقب الميرداماد على نظرية الكمون معتبراً بوجود الكائنات فى العالم الدهرى حيث تصور لها الصورة الثابتة والشكل الوحدانى الكامل بفعل تام وعالم زمنى متحرک ومتغير، حيث نشاهد منها إلا الفعل ما تختفى القوة منها كما أنّ الحقائق ثابتة ومنعدمة غير قابلة للدرک والتصور.

فيمكننا أن نعتبر هذه النظرية تأييداً وتصديقاً لنظرية الحدوث الدهرى لميرداماد، حيث حوّلها الميرداماد إلى نظرية فلسفية قيّمة (نظرية الدفعة الواحدة)، موضحاً أنّ جذورها ضاربة فى آراء القدامى من حيث الاعتقاد بالعالم الدهرى والحدوث الدهرى وخلق الكائنات بشكل دفعة واحدة (خامنه اى، ۱۳۷۵: ۷)

۵. رؤية الملاصدرا حول نظرية الفيض

تعتبر قاعدة (الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد) قاعدة لرؤية العالم وذلک لتناول العلاقات الموجودة بين ظواهر العالم ووفقاً لهذه القاعدة فيمكننا القول أن لا ينتج كائن واحد بذاته إلا كائنا ما (ابن سينا(الف)، ۱۴۰۴: ۳/ ۱۲۱-۱۲۵، الملاصدرا، ۱۳۴۲: ۷/ ۲۰۴-۲۰۵، لاهيجى، ۱۳۸۳: ص۲۲۱، آشتيانى، ۱۳۸۸: ۴۲-۴۴)

ونتسائل كيف يمكن لله الواحد الأحد أن يخلق كائنات كثيرة بحيث تدارک كل من ابن سينا والفارابى والسهروردى ضرورة التسائل حول هذا السؤال وسعوا إلى الإجابة عنه بشكل جدير، بالإضافة إلى الملاصدرا مدركاً أهمية الستاؤل حول هذه القضية، متمتعاً من مذهب سهروردى تلک المذهب الفلسفى الاستشراقى، عارضاً نظرية الفيض وتبيينها فى كتاب (المشاعر) بطريقته الفريدة وذلک أنّه سعى إلى الإجابة عن طريق الأسلوب الاستشراقى بواسطة تفسير الآى والروايات بعيداً عن التحليل العقلى، وصنّف الفعل الإلهى إلى قسمين عبارة عن فعل الأمر وفعل الخلق، قائلاً إنّ فعل الأمر متعلق بالله، وفعل الخلق مرتبط بالحادث الزمنى، مشيراً إلى ثلاث روايات إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم حيث تقول الرواية الأولى: (أول ما خلق الله العقل)، والثانية (أول ما خلق الله القلم)، والثالثة (أول ما خلق الله نورى) (الملاصدرا، ۱۳۴۲: ۵۵-۵۹)

ويعرض الملاصدرا رأيين لمعالجة القضية: ۱. يتكون الكائن فى الخارج من الوجود والماهية ۲. الوجود متوقف بالذات والماهية متوقفة بالعرض.

وبعد عرض الرأيين يستنبط من الرأى الأولى أنّ الماهية متكونةٌ من كائن ما فى الخارج، ومن الثانى أنّ الماهية لا تتوقف على الذات بحيث يستنتج من الرأيين أنّ المعلول الأولى يشتمل على قضيتين فيما أنّ القضية الأولى هى عبارة عن الوجود وصادرة عن الوجود، فى حين ينتج من الكائن بالذات جيمعاً فعلاً واحداً أُولى، ولكن تستنتج قضيتين من هذه المقولة أن لا يتقدمان ويتأخران عن الآخر، وذلک أنّ الماهية مخلوقة ولابُدَّ لها من الخلق ما سوى الله حيث الوجود مخلوق بالذات ماهيةً تحمل الماهيةَ.

أمّا المعلول من حيث الوجود فيخلقه الله ويسبب الكثرة فى الخارج بحيث إنّ الوحدة الوجودية تخلق الوحدة والكثرة تخلق الكثرة كما أنّ المعلول الأولى يخلق عقلاً آخر حيث أنشأ الكون بواسطة ماهيته، إضافةً إلى أنّ الماهية تشتمل على الجنس والفصل ولهذا إنّ الكون من حيث الماهية يشتمل على الصورة، إلى أن تستمر هذه الوتيرة فى تكوين الكائنات (الملاصدرا، ۱۳۸۲: ۱۷۱-۱۷۳)

وتتكرس أصالة الوجود لملاصدرا فى نظرية الفيض ذلک أنّه أقام قاعدة الفيض على أصالة الوجود والتشكيک فى مراتب الوجود. وخضع الملاصدرا لمبدأ الكثرة فى الكون، معتقداً بمراتب الكثرة ووجود علاقة العلة والمعلول بينها، مقدماً العلة على المعلول وأقوى من المعلول، غير مستنكراً الكثرة لا مناص منها، ولكن تشترک جميع الظواهر فى الوجود معاً.

ويستنتج من الرأى أعلاه أنّ الفيض تمهيد للجوهر والحادث الزمانى كما يعتقد الملاصدرا أنّ الله يخلق الفيض الوجودى فى العالم حيث العالم قيد الخلق فى ذات الله ولا ينقطع. (فشاهى، ۱۳۸۰: ۴۷) وها هى عبارة عن الجوهر.

يرى الملاصدرا أنّ العالم عبارة عن حركة، لا يستقر، قائماً فى ذات الكائنات، حيث يقول إنّ العالم حادث (نفس المصدر) من حيث إنّ الحادث بحاجة إلى فاعل يخلقه كما أنّ الله هو علة العلل فهو الفاعل والخالق للعالم ولهذا إنّ الجوهر عبارة عن حدوث العالم فى كل لحظة، يجدده ويطوره ويغيره لحظة لحظة فيما أنّ عدم العالم فى قضية الجوهر باطلة تماماً.

ولهذا يؤمن الملاصدرا بالحدوث الزمنى وأثبت الحدوث التدريجى للعالم عن طريق الجوهر ونظام الفيض، يرى أنّ العالم حادث وسرمدى تدريجيا دون الدفعة الواحدة، صور عالما بعرضه نظرية الحدوث التدريجى للعالم يستمر حدوثاً وزمناً، ما يعنى أنّ العالم موجود وعدم فى كل لحظة، بحيث يعتقد أنّ الله قدم بالنسبة عن الكون والقدم واقعى حقيقى جميعاً، ويشرف على العالم بالإضافة إلى القدم.

ونجمل بناءً على ما جاء أعلاه أنّ الملاصدرا يرى العالم حادث فى كل لحظة ولا يمكن العثور على القدم فى كل كائن، ولهذا لطالما أنّ كائنات العالم متوقفة فى الزمن فالحادث متوقف فى الزمن كذلک.

۶. تأثير نظرية الدفعة الواحدة لميرداماد بنظرية الحدوث الزمنى لملاصدرا

يتطرق الملاصدرا فى كتاب المشاعر إلى الحدوث الزمنى قائلا إنّ العالم بجميع ما فيه حادث زمانى إذ كل ما فيه مسبوق الوجود بعدم زمانى، بمعنى أن لا هوية من الهويات الشخصية إلا وقد سبق عدمها وجودها، ووجودها عدمها سبقاً زمانياً، ولا شيء من الأجسام والجسمانيات المادية فلكياً كان أو عنصرياً، نفساً كان أو بدناً، إلا وهو متجدد الهوية غير ثابت الوجود ولشخصيه، مع برهان لاح لنا من عند الله لأجل التدبر فى آيات الله تعالى وكتابه العزيز، مثل قوله سبحانه بل هم فيه ليس من خلق جديد (الملاصدرا، ۱۳۴۲: ۶۴)

يعنى العدم الزمانى نشؤ الكائن بعد ما كان عدماً حيث لا يجتمع العدم مع الوجود، ولا يخلق الكائن فى الحادث الدهرى، وينقض عدم الكائن فى مرتبة العدم، ولهذا لا يجتمع مع الوجود كما أنّ عدم الكائن عبارة عن الوجود التدريجى للكائن ويقوم على الزمن ويسبق وجوده، حيث يوجد القدم الزمنى فى مقابل الحدوث الزمنى وهو عبارة عن العدم المسبوق لوجود الكائن مقارنةً مع العدم الزمنى فيما يتوقف الزمن ذاتاً على العدم والوجود الذاتى ما لا يجتمعان، إضافةً إلى قيام وجود أى كائن على العدم الزمنى.

هذا والحادث الزمنى عبارة عن الزمان ذلک أنّه متغير ومتحول للحركة حيث إنّ الحركة تعنى خروج الكائن من المادة إلى الفعل ويقوم الفعل على وجود الزمن المسبوق بالمادة وهو الحدوث الزمنى (شيروانى، ۱۳۹۹: ۴۰۱)

وترتبط الكائنات فى عالم الزمان بشكل سلسلة طولية ويكتسب الكائن هويته فى تمام الزمان ولا يمكن لجميع الكائنات باعتبارها نظاماً واحداً أن تخلق بشكل دفعة واحدة بل يكون الخلق وفقاً للأزمنة والعالم الزمنى، ولكن تفتقد إمكانية السلسلة التدريجية فى الخلق ويخلق العالم بأكمله دفعة واحدة بعيداً عن الحدوث والزمان بل فى العالم الدهرى.

وتخلق الكائنات قائمة وبعضها فى البعض لمن ينظر إلى العالم الدهرى لكن لا تخلق بعضها من البعض ولا ترتبط بعضها بالبعض لمن ينظر إلى العالم الزمنى.

وبحسب الفلسفة تخلق كائنات العالم من حيث أنّها متغيرة ومتحركة فى الزمن ولكن مستقرة فى العالم الدهرى من حيث إنّها كائنة (خامنه اى، ۱۳۷۵: ۷) وكما قال الميرداماد إنّ الجسم بما هو جسم يكون فى المكان وبما هو موجود يكون واقعاً فى الدهر بما هو متغير ومتحرک يقع فى الزمان والحركة من حيث نفسها الواقعة فى الزمان بالذات وبما هى موجودة فى الدهر (الميرداماد، القبسات، ۱۳۶۷: ۹۳)

ويقول الميرداماد إنّ هذا الإنسان الشخصى بما هو حسى، مكانى، ومتغير بينها، ووقت صباه مثلا، غير وقت شيبة، ووقت شيبة غير وقت هرمه، لتخلل امتداد زمانى بينها وبما هو بعينه عقلى، بقياسه إلى بارئه العليم، ودهرى، بقياسه إلى متن الواقع موضع كل عضو منه هو بعينه موضع سائر الأعضاء، ووقت كل حال من أحواله، هو بعينه وقت سائر الأحوال. فقد انصرح لک مراراً أنّ الامتداد المكانى من مركز العالم إلى محيط محدد الجهات، بحسب هذا الاعتبار، فى منزلة نقطة واحدة، والامتداد الزمانى من أزله إلى إبادة فى منزلة آن واحد (الميرداماد، ۱۳۶۷: ۱۶۶)

فيعرض الملاصدرا نظرية الحدوث التدريجى للعالم، معتقداً الحركة الجوهرية، مصوراً العالم حادثاً حدوثاً زمنياً ما يعنى أنّ العالم موجود وعدم ويفكک الكائنات إلى المجردات والمادة ويذهب إلى أنّ المجردات مستمرة فى الخلق والزمن، لا يعتبر مكانة للحدوث الزمنى فى الكون، ولكن يؤمن بالوجود والحدوث التدريجى للعالم فى المادة ولهذا يمكن ملاحظة بصمات نظرية الدفعة الواحدة لميرداماد وذلک فى مجال قضية المجردات.

۷. موازنة بين رأى ميرداماد وملاصدرا

۷-۱. تداخل رأى العالمين

يوضح الميرداماد نظراً للعالم الدهرى أنّ الامتداد المكانى وفقاً لمركزية العالم وبالنسبة عن اشتمال الدهر على الأزمنة والأمكنة بمثابة النقطة الواحدة بحيث إنّ الامتداد الزمنى من الأزل إلى الأبد عبارة عن زمن واحد كما يقول أرسطو إنّ الذى شاهد عالم المحسوسات وأدرک الكائنات يهتدى إلى العقل وعالم متعالى ويستفيض منه ولهذا إنّ العالمين يتفقان فى عالم الكائنات ويفصلان بين أصالة الماهية وأصالة الوجود كما أنّ الرأيين عبارة عن العلة والمعلول للكائن ويتضافران مع العلة.

هذا ولا يتردد فى الرأيين ذلک أنّ للكائن وجود مغلق يتميز مع سائر الكائنات، ولا يمكن إثبات العلم والقدرة والحياة فى جميع الكائنات، إضافةً إلى قيام الكثرة فى الرأيين، لا تجتمع الوحدة مع الكثرة والكثرة مع الوحدة كما أنّ الكثرة أصيلة والوحدة متغيرة، ولا يمكن اعتبار الحركة الجوهرية بناءً على فهم هذه المقولة ذلک أنّ تدارک المجرد إلى مرتبة الإنسان من منظار الكثرة غير حاصل دون تقليب الماهية.

ونظراً للرأيين أنّهما يتفقان فى التطبيق والفحوى مع وجود التنافس والتقابل بينهما.

۷-۲. خلاف رأى العالمين

وتختلف النظريتين من حيث إنّ الحدوث الزمنى للملاصدرا منفک عرضى ما يعنى تساوى وجود الحادث والقدم فى الحادث الزمنى ويتسايران عرضاً لكن علاقتهما طولية فى نظرية الحدوث الدهرى للميرداماد يفوقان الآخر إضافةً إلى استفاضة الحدوث الزمنى من العلة الفاعلية وتستمر بناً عليها وذلک فى حال عدم الحدوث الدهرى سابقاً وخلقه بواسطة العلة الفاعلية وبشكل دفعة واحدة (الميرداماد، ۱۳۹۴: ۳۵۴-۳۵۷)

ونستنتج أنّ الملاصدرا فى نظريته القائلة بالحدوث الزمنى والفيض والحركة الجوهرية تأثر بميرداماد ونظرية الدفعة الواحدة بحيث إنّ الحدوث الزمنى تدريجى من حيث إنّه متغير، ودفعى من حيث إنّه وقت ومسبوق بالحركة، ولكن يرى الملاصدرا أنّ العالم حدوث ومتغير بحسب نظرية الحركة الجوهرية ما يعنى أنّ الكون ليس عدماً فى كل لحظة وبحاجة إلى خلق من جديد وجوداً ولكن مستمر ومتجدد دون الانقطاع بحيث يحتفظ بالكمال، والمقولة الأخيرة لملاصدرا تدل على أنّها نفس نظرية الدفعة الواحدة لميرداماد.

النتيجة

وتوصل المقال إلى أنّ الميرداماد يعتقد بعدم تقدم خلق أى كائن على كائن آخر وذلک فى العالم الدهرى وخلقت جميع الكائنات المادية والمجردة على مستوى الكون بواسطة علة العلل وذلک بشكل الدفعة الواحدة وتكونت وجوداً دون تمايز عن الآخر.

وعلج تأثير الدفعة الواحدة فى ضوء آراء ملاصدرا، ما تدارک المقال أن تنبثق من نظرية الدفعة الواحدة نظرية الحدوث الزمنى وتراوح منها الحركة الجوهرية بحيث يرى الملاصدرا أنّ عالم الطبيعة حادث فى كل لحظة بحيث تأثر الملاصدرا من رأى الميرداماد المتعلق بالدفعة الواحدة، معتقداً أنّ الله خالق للفيض فى العالم والعالم حادث فى كل لحظة تدريجيا دون الدفعة الواحدة.

المنابع

۱. آشتيانى (ميرى)، سيّدجلال الدّين، سه رساله فلسفى ملاصدرا، قم، بوستان كتاب، ۱۳۸۸ش.
۲. ابن سينا (الف)، حسين بن عبد الله، الشفاء، قم، مكتبة آية الله المرعشى النجفى، ۱۴۰۴ق.
۳. ابن سينا(ب)، حسين بن عبد الله، التعليقات، قم، مكتب الإعلام الإسلامى، ۱۴۰۴ق.

۴. خامنه ای، سیّدمحمّد، مقاله: «نگاهی به زندگی، شخصیت و مکتب صدرالمتألهین»، مجله خردنامه صدرا، شماره ۳، سال ۱۳۷۵ش.، ص ۳۲ – ۳۹.

۵. شیروانی، علی، ترجمه و شرح نهایة الحکمة، قم، بوستان کتاب، ۱۳۹۹ش.

۶. فشاهی، محمّدرضا، ارسطو بغدادی؛ از عقل یونانی به وحی قرآنی کوششی در آسیب‌شناسی فلسفه‌ی ایرانی – اسلامی، تهران، کاروان اندیشه سازان، ۱۳۸۰ش.

۷. لاهیجی، عبدالرزاق، گوهر مراد، تهران، سایه، ۱۳۸۳ش.

۸. مطهری، مرتضی، مجموعه آثار، تهران، صدرا، ۱۳۹۳ش.

۹. ملاصدرا (شیرازی)، محمّد، المشاعر، تهران، کتابخانه طهوری، ۱۳۴۲ش.

۱۰. ملاصدرا (شیرازی)، محمّد، الشواهد الربوبیة، تهران، نیاد حکمت اسلامی صدرا، ۱۳۸۲ش.

۱۱. المیرداماد (الاسترآبادی)، سیّدمحمّدباقر، اخگرها (ترجمه القبسات)، مترجم: جهانشاه ناصر، تهران، ابصار، ۱۳۹۴ش.

۱۲. المیرداماد (الاسترآبادی)، سیّدمحمّدباقر، الصراط المستقیم فی ربط الحادث بالقدیم، المحقّق: علی اوجبی، تهران، مجلس شورای اسلامی، کتابخانه موزه و مرکز اسناد، ۱۳۸۱ش.

۱۳. المیرداماد(الاسترآبادی)، سیّدمحمّدباقر، القبسات، تهران، دانشگاه تهران، ۱۳۶۷ش.